أخشى ألا نتمكن من تنفيذ مشروعك على الوجه الأكمل. هتف الشيخ الذي كان قد صعد إلى سيارته اللاندروفر سوف أعود بعد بضعة أيام. انطلقت السيارة محدثة غيمة من الغبار ووجهتها الساحل. كان المبنى المحصن بأربعة أبراج صغيرة في زواياه وثلاثة أبراج مربعة الشكل، ونحو مائة بيت مبنية بالأجر توحي بأن المكان قرية صغيرة لا عاصمة إمارة. وصيادون ينصبون شباكهم على الشاطئ الرملي. ترجل زايد من السيارة حيا الحرس القائمين على المدخل. عندما أصبح في موازاة زايد توقف و انحنى واضعاً يده على قلبه. لكن ما من مشكلة إلا ولها حل لأن الحل بأيدينا. ـ اسمح لي بالانصراف. أمامي طريق طويل للوصول إلى بأمان الله، سيد غوردون سوف نلتقي مجدداً بالتأكيد. شيعه زايد بالنظر للحظات قبل أن يدخل إلى الغرفة التي كان المندوب الإنجليزي قد غادرها غرفة بسيطة لها منور وحيد ينفذ منه شعاع الشمس الشاحب الأرض مفروشة بالسجاد والأثاث يقتصر على مقعد طويل منجد يحاذي أحد الجدران مغطى بمخدات متعددة الألوان، أول ما يصدم في مظهره شحوب ملامحه هو رجل نحيل قسماته دقيقة ومنتظمة تزينها لحية سوداء مشذبة وعينان واسعتان داكنتان حالما رأى الزائر ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة. قبل أن يأخذه بين ذراعيه. امتثل زايد فيما جلس شخبوط مقابله. ينبغي أن أذهب لزيارتك في العين ولا سيما أنني هناك أشعر بأنني أفضل حالاً ـ غني عن القول طبعاً أنك تكون هناك في منزلك. ً منذ بعض الوقت ما عدت أدري ما بي، وعظامي تؤلمني بعد ثلاثة أشهر أكمل الخامسة والأربعين من العمر. ً كان الخادم قد عاد حاملاً فنجانين صغيرين ودلة. وولدي خليفة بلغ عامه الثاني. هر زايد رأسه كان الموضوع واحة البريمي، وفي ما يخص زايد كان همه الوحيد تجنب سفك الدماء مهما كان الثمن في رأيه أنه لا يمكن لعربي، رفع شخبوط الفنجان إلى شفتيه وتابع الرجلان حوارهما المفعم دمائة إلى أن قرر زايد أن يفصح عن سبب زيارته. اسمح لي أن أكلمك بصراحة. ـ أليس هذا ما اعتدنا عليه؟ أسمعك. لا يغرب عنك أن العين منطقة زراعية على مدار السنة، وترتبط كثيراً بالمياه المنحدرة من جبل حفيت. هذه المياه بحاجة إلى قنوات تجري فيها. كان يدرك أهمية هذه القنوات منذ بدء الأزمة المالية التي حاقت بنا ـ أتكلم طبعاً عن تدهور تجارة اللؤلؤ ـ لم تتمكن العدم توافر الإمكانات من صيانة القنوات الموجودة. وهذا ما أدى إلى جفاف بعض الأفلاج وانسداد غيرها بفعل الرواسب. ما هي الأسباب؟ ـ أخبرك في ما بعد. لنعد إلى مآخذك؟ ألم أبن خط أنابيب النقل الماء من العين إلى هنا؟ واعتزم إنشاء وحدتين التحلية المياه. وينبغي أن نستمر في شق الطرق وبناء المدارس والمستشفيات واستيراد الأجهزة والاستعانة بمستشارين ماليين والتعامل مع البنوك. وأنا المستشار المالي الذي اقترحوه علي كان أجنبياً! لا أريد أن يدس الأجانب أنوفهم في قضايا بلادنا. ً ارتسمت على شفتيه ابتسامة وأضاف: لكن ذلك لا يمنع من اختباري لهم في أي وقت للتأكد من جاهزيتهم لإمدادي بأي مبلغ في أي وقت ولكن المستقبل لا ينتظر أحداً يا أخي، علينا أن نذهب اليه هذه المرة وقف شخبوط. حدق في عيني أخيه ثم قال بصوت بالغ التأثر : أنا قلق يا زايد قلق من أن تفقد بلادنا أصالتها. يقرعون أذني كل يوم بهذه الكلمة: »تقدم«، ما هو التقدم؟ تطوير الفرد؟ أو تطوير المنافع المادية لكنني أقول إن ما يسمونه التقدم ما هو إلا استبدال مشكلة بأخرى. لقد عشنا حياة طيبة على مدى قرنين من دون سيارات، أعلم أنك سترد علي قائلاً إن الآخرين قد بنوا مستشفيات ومدارس لكن لماذا نقلد ما يفعلونه؟ بما أنك تحدثني عن مدارس، أفهمك تريد أن تقول لي إن بوسعنا أن نأتي بهم من الخارج. أنا أرفض ذلك التعليم عمل مقدس ولا ينبغي أن يتولاه إلا معلمون من بلادنا. خيم صمت ثقيل قبل أن يستعيد زايد دوره في الكلام. ما رأي هزاع وخالد في ذلك؟ تريد أن أجيبك بصراحة؟ أشعر بأن أخوي لا يوافقانني الرأي، ولما لم يكن زايد قد أجاب بعد، اقترب أخوه منه وأحاطه بذراعيه وقبل جبهته. لا ريب في أن شخبوط تأثر بهذه المحادثة لأنه بعد أسبوعين على لقائنا أمدني بالوسائل اللازمة لبدء الأشغال. على مدى الأزمان كان الوصول إلى الماء امتيازاً في العين. أما الآخرون فلا يصلون إليه إلا بقدر إمكاناتهم المتواضعة. ً الماء يجب أن يكون في متناول الجميع، قررت في المرحلة الأولى تنظيف قنوات الري المكتظة بركام من الحجارة أو المسدودة بالرمل. استغرق التنفيذ وقتاً طويلاً وكان العمل شاقاً وعندما انتهى تبين أن المنسوب لن يكون كافياً لتلبية احتياجات جميع السكان. ما العمل؟ لا بد من العثور على مصادر تموين جديدة. ومرة أخرى واجهتنا الحقيقة القاسية عدم وجود المعدات المناسبة. هكذا شرح الأمر فارس، صديق العمر الذي كان يقالعنه له قوة الأسد وقلب حمل كنت أوده كثيرا. متفائل جداً لاحظتك أمس انعقد لساني عندما رأيتك ترسم بعصاً خطوطاً على الرمل وسمعتك تتكلم وحدك كنت تقول: هنا ستقوم مدرسة ذات يوم وهناك مستشفى، ماذا تريد؟ المتفائل يحلم لينسى والمتشائم ينسى أن أشرت إلى فضاء يكثر فيه النخيل، وأعلنت مشدداً على الكلمات : نعم هنا ستقوم ذات يوم مدرسة، أنت امرؤ لا يمكن تقويمه لا يا صديقي، بما أننا لا نملك الوسائل الفعالة فسوف نستخدم الوسائل التي وهبتنا إياها الطبيعة. سوف نوجه نداء إلى جميع الرجال ذوي النيات الحسنة ونذهب للبحث عن الماء حيث ينتظرنا في الطبقات الجوفية. رفع فارس يده إلى جبهته. ً يا زايد أندري ما يعنيه ذلك؟ حفر حوالي أربعين متراً في الأرض الوعرة

Summarized by © lakhasly.com

وصولاً وصولا إلى مجرى الماء في الظلمة. إذا اشترك فيه كل الرجال القادرين على العمل. ثم إن الرسوم الصغيرة التي نجبيها عن المشروع سوف تستثمر فوراً لخلق أفلاج جديدة، في اليوم نفسه قمت بجولة على رجال القبائل. لم يكونوا بحاجة إلى التشاور، العمل مجاناً؟ أفلا يستحق كل جهد أجراً؟ ـ هل يدفع لكم أجر لكي تتنفسوا؟ الماء والهواء ملك الجميع الكائنات. انظروا أولاً إلى الفوائد التي ستجنونها أنتم وعائلاتكم من هذه القنوات الجديدة. استمر الجدل مدة طويلة إلى أن صاح فارس ـ يا إخواني، هيا أين ذهبت نخوتكم البدوية؟ أين شجاعتكم؟ أين ثباتكم؟ أصابتهم كلمات صديقي في الجانب الأكثر حساسية لدينا الكبرياء. عهدت إلى أهالي العين بمهمة حفر البئر الأم، وكلفت عدداً من الأشخاص بشق الصاروج بناءً على التصاميم التي وضعتها كان على الماء أن يجري في هذا الفلج ثم يمر في قنوات ثانوية، المسم والهدف هو توزيع الماء على السكان بالتساوي لقاء زهيد. والذين لا يقدرون على الدفع باتوا محرومين من الماء. ولكن كيف لي أن أتمالك نفسي أمام ما كنت أعتبره عملاً من أعمال القرصنة؟ على مدى أيام طويلة جهدت في محاولة إعادة المسؤولين عن هذا الانحراف إلى رشدهم بلا جدوى ما يفعلونه هو في نظرهم تجارة. وما من قانون يمكن أن يمنعهم من التجارة. ولن تحصلوا على قطرة زيادة. آجلاً أو عاجلا على ما يكفي من الماء لإرواء عطشهم أو ري مزروعاتهم، هكذا بات الحصول على الماء متاحاً للجميع من دون قيد ولا شرط.

Summarized by © lakhasly.com